

كما أن من الأخطاء التي يقع فيها الدارسون، وهم يتعاملون مع الدلالة الإيديولوجية في الفن أنهم يعزلون فقط «المركبة» السطحية والتقنية للظاهرة الفنية، كالتقنية المعمارية أو الكيماوية (وهو يقصد هنا عالم الفن التشكيلي على الخصوص)، وهذا يعتبر تأويلاً بسيطاً للدلالة الإيديولوجية في الفن.

وفي كلتا الحالتين، فإن دراسة الإيديولوجيا في الفن تَمُرُّ بجانب حقيقة الظاهرة الإيديولوجية، لذلك نراه يقول منتقداً هذا الأسلوب التحليلي:

«فمع أن المطابقة التي تم انجازها صحيحة، ومع أن «الإنسان الزائد عن الحاجة» قد ظهر بالفعل داخل الأدب في ارتباط مع التقهقر الاقتصادي للنيلاء، فإن المنهجين السابقين: أولاً لا يُميزان سوى الهزات الاقتصادية المطابقة التي تُولَّدُ بواسطة ظاهرة السببية الميكانيكية «رجالاً زائدين عن الحاجة»، وذلك على صفحات النتاج الروائي (وَبُطْلان مثل هذا الافتراض هو شيءٌ بديهي)، وثانياً فإن هذه المطابقة نفسها ليس لها أية قيمة معرفية ما دامت لا توضح الدور النوعي «للإنسان الزائد عن الحاجة» في بنية العمل الروائي. وما دامت لا توضح أيضاً الدور النوعي للرواية نفسها في مجموع الحياة الاجتماعية»⁽¹⁴⁵⁾.

إن «باختين» يُنبهُ هنا، إلى الإهمال الذي تلقاه الحلقات الأساسية الرابطة بين البنية التحتية (تدهور الاقتصاد)، وبين ظهور «الإنسان الزائد عن الحاجة». فهناك كثير من التحولات، والعلاقات التي يتم السكوت عنها، في حين أن هذا الجانب هو الذي يحدد دلالة ذلك الإنسان داخل الصياغة الروائية التي أبدعها «تورجنيف» أولاً بالنسبة لمجموع الكتابة الروائية، وثانياً بالنسبة لمجموع الحياة الاجتماعية⁽¹⁴⁶⁾.

ويتبين من هذه الانتقادات التي وجهها «باختين» للمناهج الميكانيكية في التعامل مع الأدب، أنه يرى ضرورة ادماج الفن في العلاقات الاجتماعية، لا اعتباره مجرد تعليق أو تسجيل هامشي يسير في موازاة الحياة. كما يجب تحليل العمل الروائي في ذاته، وفهم العلاقات القائمة فيه. وهو يتساءل بهذا الصدد قائلاً:

«أليس من البديهي أنه يوجد بين تحولات البنية الاقتصادية، وظهور «الإنسان الزائد عن الحاجة» في الرواية طريقٌ طويلٌ يمر عبر سلسلة حلقات نوعية مميزة، تختصُّ كلُّ واحدةٍ منها بسلسلة من القواعد النوعية، وبمميزات خاصة؟ ثم أليس من البديهي أيضاً أن «الإنسان الزائد عن الحاجة» لن يظهر في الرواية بطريقة مستقلة ودون أي ارتباط مع

Ibid., P. 36 - 47.

(145)

Ibid., P. 37.

(146)